

## الدعوة إلى الإسلام\*

### القسم الأول

## منهج القرآن في الدعوة إلى الإسلام

### ١ - الدعوة جزء من الإسلام

ليس هناك من خلاف بين المسلمين على أن الإسلام دين دعوة ، وآيات القرآن الكريم الداعية إلى ذلك ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وحياته ، وتاريخ الإسلام كله تأصيل لذلك وتطبيق له . والله تبارك وتعالى يقول في كتابه : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

[فصلت : ٣٣] .

ويخاطب رسوله بقوله : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

---

\* أتى هذا البحث ونوقش في المؤتمر الإسلامي العالمي ، الذي عقد في كوالالمبور عاصمة ماليزيا ، فيما بين ٢١ ، ٢٧ من أبريل ١٩٦٩ ( المحرم ١٣٨٩ هـ ) .

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۖ  
[الأحزاب : ٤٦] .

ويوجه خطابه إلى المؤمنين محمداً مهمتهم بعد مهمة الرسول فيقول :

« وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ، وَمَا جَعَلَ

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ

سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ، وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا

عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ

النَّصِيرُ ۖ [الحجج : ٧٨] .

## ٢ - الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

وسبيل الإسلام إلى ذلك الإقناع الفكري ، وإزالة الأغشية التي

تحول بين الناس وبين الإيمان بالله ، والإسلام يخوض هذا الصراع  
الفكري واثقاً من الحق الذي يدعو إليه . وفي هذا يقول الرسول مخاطباً

قومه كما علمه ربه : « قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ

مَشْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ، مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ

إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۖ قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ

أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ . إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 شَهِيدٌ \* قُلْ : إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْغُيُوبِ \* قُلْ :  
 جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ \* قُلْ : إِنْ ضَلَلْتُ  
 فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ  
 رَبِّي ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ » [سبأ : ٤٦ - ٥٠] .

ويهيى الإنسان عن أن يسير فى الحياة بغير دليل يقتنع به وفى هذا يقول  
 الله : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
 وَالْفُؤَادَ ، كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » [الإسراء : ٣٦] .  
 ويحدد أسلوب الدعوة بقوله : « اذْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ  
 بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ،  
 إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »  
 [النحل : ١٢٥] .

ويعتبر عدم إعمال العقل ذنباً يستحق الإنسان عليه العذاب يوم  
 يلتقى الله . وفى هذا يقول تعالى واصفاً بعض أهل النار : « وَقَالُوا لَوْ كُنَّا  
 نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ » فاعترفوا بذنبيهم  
 فسحقاً لأصحاب السعير » [الملك : ١٠ - ١١] .

### ٣ - التكامل التاريخي في الدعوة

ويفتح القرآن المجال واسعاً أمام المسلم ، ليستفيد من جميع الخبرات الإنسانية عبر التاريخ ، من الخليقة عندما أبدعتها يد الله ، والإنسان عندما نفخ فيه من روحه ، وتتابع الرسالات حاملة الهدى والنور إلى الإنسانية ، حتى اكتملت بنحتم الأنبياء والمرسلين ، ثم هو يدعو إلى الاستفادة من كل خبرة لاحقة دون انطواء أو انغلاق .

والمسلم في هذا مأمور بالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . لَانْفِرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » [ البقرة : ٢٨٥ ] .

بل إن هذا الحشد الكريم الذي يقصه ربنا علينا في القرآن لا يستغرق جميع الرسالات السماوية . وبين أيدينا قول الله عن الرسل : « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا لَكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » [ غافر : ٧٨ ] .

ومن هنا يفتح أمامنا باب واسع من أبواب الدراسات الدينية المقارنة ، التي تغطي جميع الديانات ذات الكتب التي يقدها أتباعها ، وإن لم يرد لها ذكر صريح في كتاب الله .



وما أكرم ما نقرأ في القرآن من ذكر النبوات متتابعة ، وثناء الله  
 - جل وعلا - على جميع الجهود الكريمة التي بذلها النبيون والذين آمنوا  
 معهم : ولناخذ نموذجاً لهذا العرض الرائع كما جاء في سورة الأنبياء  
 وتعقيب ربنا عليه : « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ  
 فَاعْبُدُونِ » [ الأنبياء : ٩٢ ] .

أمة واحدة مهما تتابعت العصور . يرجعون جميعاً إلى رب واحد ،  
 أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ، يهدون إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

#### ٤ - التكامل المكاني والإنساني في الدعوة

وكما تمتد الدعوة زمانياً ، لتشمل جميع الجهود المبذولة من أجل  
 الإيمان والعمل الصالح عبر التاريخ ، فإنها تمتد مكانياً ، دون أن تقيد  
 نفسها بقطر أو قارة أو مجموعة محدودة من القارات أو جنس من الأجناس .  
 والقرآن الكريم خاطب قريشاً أول الأمر ، بقضايا يستطيعون أن يكونوا  
 أكثر إحساساً بها من الناحية المكانية : قصة أصحاب الفيل ، رحلة الشتاء  
 والصيف . ثم توسع مكانياً فعرض لقضايا عالمية وقتئذ ، كالصراع بين  
 الفرس والرومان ، ونزل في هذا قول الله : « غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى  
 الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ  
 لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \*  
 بِنَصْرِ اللَّهِ . يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » .

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ «  
[ الروم : ٢ - ٦ ] .

وعندما تحدثت سورة الكهف عن قصة ذى القرنين ، قال الله فى شأنه : « إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا .

فَأَتَّبَعَهُ سَبَبًا » حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ « [الكهف : ٨٤-٨٦]

ثم قال بعد هذا العرض : « حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ » [آية : ٩٠]

ودون دخول فى تفاصيل هذه الأمكنة يكفيننا ، فى مجال الدراسة ،

هذه الإشارات إلى سعة الرحلة والتجول ؛ وإليها إشارة أخرى فى قول

موسى لفتاه فى نفس السورة : « لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ

أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا » [آية : ٦٠]

فطلب العبرة يقتضى من المؤمن ألا يتقيد بمكان ، وألا يقتصر على موطن ؛ فالحكمة ضالة المؤمن ، كما يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومع هذه العناية بالتوسع المكاني فى العبرة ، توسعاً يصل إلى مشرق

الشمس ومغربها ، ويدعو الإنسان إلى متابعة الجهد ، حتى لو أمضى

فيه الحقب ؛ فإنه يلفته إلى ما بين يديه من آيات ، فلا يشغله البعيد عن

القريب ، بحيث يصرفه ذلك عن روائع لا تحتاج منه وهو فى مكانه ،

إلا إلى أن يفتح حواسه وقلبه . من أجل ذلك يحذرننا ربنا فيقول :

« وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ

عَنْهَا مُعْرِضُونَ » [يوسف : ١٠٥] .

والإسلام دين الإنسانية كلها . دون تفرقة عنصرية أو عصبية إقليمية . والله يخاطب رسوله قائلاً : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » [ الأنبياء : ١٠٧ ]

## ٥ - التكامل الموضوعي

ويضم القرآن إلى الأبعاد المكانية والزمانية والإنسانية بعداً رابعاً من التكامل الموضوعي . فمع تأكيد الإيمان بالله والعمل الصالح والجزاء كقاعدة مشتركة في الأديان جميعاً ، إلا أنه يركز في كل قصة من قصصه . وكل دعوة من دعواته على ناحية أو نواح معينة هي التي يحتاج إليها المجتمع أكثر من غيرها في مرحلة معينة من نواحي تطوره . ولنأخذ أولاً الأصول المشتركة بين الأديان جميعاً في قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَن آهَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » [ المائدة : ٦٩ ] .

هناك أولاً الإيمان بالله ، وثانياً باليوم الآخر ، وثالثاً التعبير عن ذلك بالعمل الصالح في هذه الحياة الدنيا . ولا بد في الدين من الارتباط بين العمل والعقيدة : نجد هذا في أكثر من آية من كتاب الله :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا » [ الكهف ١٠٧ ] وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ

قَالُوا : رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ :  
 أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ  
 تُوعَدُونَ » [ فصلت : ٣٠ ] .

ومن هذا المنطلق العريض في قوله تعالى : « وعمل صالحاً » ، تسعى  
 الإنسانية إلى كل الخير ، وتتعدد وتنوع صور هذا الخير مع سير  
 الحياة . ولناخذ لذلك بعض الأمثلة :

( أ ) لقد كانت القضية الكبرى التي يعنى بها نبي الله شعيب  
 عليه السلام ، مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية في مجتمعه . ويصور القرآن  
 الكريم هذا فيقول : « وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ : يَا قَوْمِ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ  
 رَبِّكُمْ ، فَاتَّقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ،  
 وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » [ الأعراف : ٨٥ ] .

والآية تربط بين العقيدة وتطبيقها العملي في المجتمع ، بحيث يتجه  
 التطبيق إلى مشكلاته ، فيكون حل المشكلات تعبيراً عملياً عن الإيمان .

( ب ) وقد تأخذ صورة تخطيط علمي ، يحاول به مجتمع أن يحل  
 مشكلاته ، وينظم موارده وادخاره واستهلاكه على أساس سليم . والنموذج  
 بين أيدينا من قصة يوسف عليه السلام :

« تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي  
 سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ  
 مُثَدَّادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ \*  
 ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ »  
 [ يوسف : ٤٧ - ٤٩ ]

(ج) وقد يأخذ الإيمان صورة مشروع كبير تحاول به أمة أن  
 تحمي نفسها من أعدائها . والقرآن الكريم يعطينا تصويراً عملياً لهذا في  
 قصة ذي القرنين عندما قال : « مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي  
 بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا » [ الكهف : ٩٥ ]

ثم لما بنى السد قال : « هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي » [ الكهف : ٩٨ ] .  
 (د) وقد يأخذ الإيمان صورة تنظيم سياسي يوضح العلاقة بين  
 القيادة والقاعدة في مثل قوله تعالى مخاطباً رسوله : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ  
 لِنْتَ لَهُمْ . وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا . لَفُتِنُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ  
 وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »  
 [ آل عمران : ١٥٩ ] .

(هـ) وقد يأخذ صورة الاستعداد العسكري لحماية الوطن ورد

العدوان عنه . وفي هذا نقرأ قول الله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ . اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَدَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » [ الأنفال : ٦٠ ]  
 ( و ) وقد يأخذ صورة تقسيم عمل تجمع فيه الأمة بين الاستعداد العسكري والتخصص العلمي . وفي هذا يقول الله تعالى : « وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » [ التوبة : ١٢٢ ] .

والنماذج على هذا من قصص القرآن كثيرة ، ترينا كيف أن الدين متفاعل تفاعلاً دائماً ومباشراً مع قضايا الحياة ، يحاول باستمرار أن يحل متناقضاتها ، وأن يقضى على نوازع الشر فيها ، ويفتح للمجتمع دائماً طريقاً إلى التقدم والصعود . ويجمع هذا كله ما ذكره الله تعالى مبيناً مهمة الرسول : « يَا مَعْرُوفُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » [ الأعراف : ١٥٧ ] .  
 ولنقف طويلاً عند هذه الآية ، وكيف يجعل الله دينه ورسوله ومهمته

أن يضع عن الناس الآصار والأغلال . لينطلقوا عاملين مؤمنين على طريق الحياة والإيمان .

الإسلام بهذا يدعو دائماً إلى العمل وإلى الصعود ، وإلى إزالة العقبات من طريق الحياة والتقدم ، وهو يتصدى للمشكلات ، محاولاً دائماً أن يحلها على قاعدة من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح الذي يصلح به وجه الحياة .

## القسم الثاني

### من مصادر الدين إلى واقع الحياة

#### ٦ - الشمول ومقابلة المشكلات

ومع الشمول المكاني والزماني والموضوعي الذي حدد لنا القرآن الكريم أبعاده ، إلا أنه في قصصه كان يقابل مشكلات المجتمع ويعرض حلولها . وقد تتباين هذه المشكلات ، ومن طبيعتها أن تتباين ؛ ولكن الأساس يبنى واحداً ، وهو الارتباط القوي بين الدين والحياة ، ومواجهة التحديات التي يفرضها سير الحياة في تدفقه المستمر .

وإذا ما عدنا بهذه النظرة ، إلى الموضوعات التي سبق عرضها من مشكلات المجتمع قبل الإسلام ، وفي قاعدة الإسلام في المدينة كما وضحها القرآن الكريم ، رأينا هذا الخط الرئيسي من مواجهة المشكلة ، ومحاولة التغلب عليها : نموذج شعيب في موقفه من الانحراف الاقتصادي في مجتمعه ، وموقف يوسف عندما وجد في التخطيط الطويل السبيل الوحيد لنجاة المجتمع من مجاعة تنتظره ؛ وموقف ذي القرنين عندما أقام السد .

ومن هنا كان على الدين وأهله أن يديروا هذا الحوار الحصب في مشكلات مجتمعاتهم ، ليحددوا بها القضايا الكبرى التي عليهم أن يواجهوها ، دون أن يقعدوا بالدين عن هدف نبيل عليهم أن يقصدوه ، وإن بعدت الشقة وكثرت التضحيات .

فقد تكون السبيل الوحيدة المفتوحة أمام أمة لتناول حقيقتها ، أن تخوض من أجل ذلك حرباً ، والنفوس عندئذ تتنازعها عوامل من حب البقاء والرغبة في القيام بالواجب ، والقرآن الكريم يقابل هذا الصراع النفسى مقابلة موضوعية ، ويربط ما بين صعوبة الطريق وكرامة الخداف فيقول :

« كَتِيبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » [البقرة : ٢١٦] .

ويصف الله أقواماً كانوا يعيشون مع الرسول الأعظم في قاعدة الإسلام في المدينة فقال فيهم : « لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَرًا قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » [التوبة : ٤٢] .

وكما حدث هذا مع الرسول الكريم حدث مع الأنبياء السابقين ، فخطب الله بنى إسرائيل بقوله : « وَأَمِينُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ ، وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّائِي فَاتَّقُونَ \* وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » [البقرة : ٤١ - ٤٢] .

ويبقى هذا على المجتمع أن يتحقق من وضوح رؤيته لمشكلاته الحقيقية ، ويزيل عن وجهها ما قد يحجبه من غيوم النفوس أو العقول ، ليسلك إليها طريقه؛ بعد هذا على هدى وبصيرة .

## ٧ - المهج العلمي لإدارة الحوار

وفي إدارتنا هذا الحوار الحصب مع مشكلاتنا على مستوى العالم الإسلامي ، علينا أولاً أن نحدد أبعاد المشكلات التي تقابلنا على الطريق : فالقرآن واحد ، والرسول واحد ، والكعبة واحدة ، إلا أن التطور التاريخي الذي مرت به أرض الإسلام وشعوبه ، والتفاعلات الحضارية المتنوعة والمتشابكة ، جعلت هناك فروقاً في الاتجاهات الحضارية لا سبيل إلى التغاضي عنها ، ونحن بسبيل الحديث عن التعاون .

وإذا ما كان الوطن الإسلامي الكبير يمثل قارة وسطى بين قارات العالم القديمة ، فإن هذا الموقع المتوسط قد فرض عليه أن يكون - إلى جانب أصالته - معبراً حضارياً بين حضارات كبرى في الشرق الأقصى وأوروبا والعالم الجديد ، كما كان من قبل ، عند ظهور الإسلام ، معبراً حضارياً بين الشرق الأقصى وجبهته في فارس ، وبين العالم الأوربي وجبهته في ديار الروم القريبة .

وهذا التواصل الحضاري للأمة الوسط يعطيها بطبيعتها ، مرونة في تقبل الجديد ، وحسن إدراك لوجهات نظر الآخرين ، ولكن التفاعل الضخم الذي مرّ على العالم الإسلامي ، بعد عهد الكشوف الجغرافية ، وما زال مستمراً حتى الآن ، فتح أكثر من نافذة على أرض الإسلام ، وصبغ بعض أقطاره بصبغات حضارية متنوعة ، تفاعلت مع الإسلام والعقائد الموروثة قبله .

وكل عالم أو باحث في أرض الإسلام ، له تأثيره بلسجات متفاوتة ،  
 بهذه المدارس الفكرية وهذه الحضارات ، وهذا التأثير يشكل جانباً من  
 نظرتهم إلى الحياة . وهذه المدارس تتفاعل أحياناً تفاعلاً هادئاً أو عنيفاً ،  
 بعضها حديث ما زال في فتوته ، وبعضها يرجع إلى القرن التاسع عشر  
 أو الثامن عشر . وسرعة أقطار الإسلام في تقبل هذه الآراء أو رفضها ،  
 تتباين حسب المواقع الجغرافية ، والواقع التاريخي ، ومستوى التعليم ،  
 واتجاهات البعثات الدراسية ، ومدى المحافظة على الأصالة الإسلامية .  
 وتستطيع أن تدرك هذا في كثير من الوضوح ، إذا ما قارنت بين  
 سكان المدينة وسكان الريف أو البادية في أي قطر من أقطار الإسلام . .  
 هذا فضلاً عن المقارنة بين الأقطار المجاورة لمناطق التأثير الحضارية  
 الكبرى ، والمناطق البعيدة عنها نسبياً .

ولكن مع هذا التباين الكبير ، فإن نقاطاً رئيسية علينا أن نوليها عنايتنا  
 في الدراسة :

( أ ) اتجاه التأثير الحضاري : وأقصد بذلك أن أرض الإسلام  
 في عهود ازدهارها كانت مركز الثقل الحضاري في العالم ؛ وأن التيارات  
 الحضارية كانت - إلى حد بعيد - تنبع منها وتنتقل إلى غيرها من  
 المراكز ؛ وأن نماء أرض الإسلام وازدهارها الحضاري كان راجعاً إلى حسن  
 الاستفادة من التراث العالمي الذي استطاعوا الوصول إليه ، وضمه إلى  
 ما بين أيديهم من موارد ومبتكرات ، وإعادة صياغة ذلك كله في أنماط  
 جديدة ، تستند أساساً إلى الطابع الإسلامي الذي يؤمن بالله ويحترم العلم .  
 ثم جاءت بعد هذا دورة حضارية أخرى انتقلت فيها مراكز التأثير الكبرى  
 إلى خارج أرض الإسلام فأصبحنا نستورد بعد أن كنا نصدر ، وأخذ  
 الصراع الجديد طابعاً غير مسبوق في الكشف العلمي والتقدم التكنولوجي .  
 ( ب ) التحدي الكبير : وبذلك أصبح التحدي الكبير للذي

يقابل عالمنا الإسلامى الآن هو مستواه العلمى ، إذا ما قارناه بالمستويات العالمية . وهذا المقياس من أخطر المقاييس - إن لم يكن أخطرهما - فى عالمنا المعاصر ، فى الحكم على أمة أو شعب .

(ج) الدين والحياة : وإذا ما كان العلم هو التحدى الكبير الذى يقابلنا ، فمن واجب الدين علينا ألا نظلمه ، وألا نعتبره مسئولا عن وضع نحن فيه ، وإنما تقتضينا الموضوعية العلمية ، أن نحدد - لأنفسنا على الأقل - مسئوليتنا ، وأبعاد العمل للمستقبل ، ونتخذ من الدين - وهذه طبيعته - دافعا قويا إلى العمل والصعود إلى هذه المستويات العالمية ، نشارك فيها ، نأخذ ونعطى ، دون انطواء أو تعقيد ، يصرفنا عن الاستفادة ، أو شعور بالنقص ، يدفعنا إلى قبول كل شىء قبولاً تتلاشى به شخصيتنا ، ونذوب فى بحر الحياة المتلاطم . ومن قبل يحدثنا التاريخ عن أجيال لم تستطع أن تقابل تحديات الحياة ، فجرقتها الحياة وربنا يحذرنا فيقول :

« وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ »

[محمد : ٣٨] .

## ٨ - مواقف

والمسلمون أمام هذه التحديات لهم مواقف متعددة ، ولا يشترط أن يكون لكل قطر من أقطار الإسلام موقف يستغرق أبناءه جميعاً ، وأقصد بالموقف هنا الخط الفكرى والعلمى الذى يتصرف على أساسه المجتمع أو الفرد تجاه المشكلات التى يقابلها .

ومن الناحية العلمية ، هناك مواقف على المستوى القومى ، ومواقف على مستوى الجماعات أو الأفراد وأبرز هذه المواقف :

( أ ) رفض الحياة الجديدة والخوف منها على إطار الحياة الإسلامية ومقوماتها .

( ب ) القبول الجزئي القائم على اختيار الصالح ورفض غير الصالح من هذه الحياة . ونستطيع أن نسميه بالموقف التوفيقى .

( ج ) القبول الكامل للحياة الجديدة ، وحصر الدين فى المستوى الفردى كصلة بين الفرد وخالفه .

( د ) وقد يشتد هذا القبول إلى تخطى العقيدة ، باعتبارها تراثاً تاريخياً ، عبرته الحياة فى سيرها المتدفق .

( هـ ) وذروة هذا القبول اعتبار الدين قيداً على الحياة الإنسانية ، واتخاذ الوسائل لتقييد حركته وتجميده ، لكيلا ينتشر أفقياً فى المجتمع ، أو رأسياً فى أجيال مقبلة .

ونحمد الله على أن العالم الإسلامى فى جملته لا يرفض الحياة الجديدة ولا يرفض الدين ، وأن أغلب المسلمين الآن على طريق القبول الجزئى القائم على اختيار الصالح ، ونفى غير الصالح ، ولكن لكل قطر من أقطار الإسلام تكوينه الاجتماعى والفكرى والاقتصادى الخاص ، الذى يدخل فى تشكيل الموقف الذى يتخذه من العمل للإسلام ؛ وهذا الموقف بدوره له انعكاسه العميق على تطور المجتمع ، ومدى قدرته على التعاون على المستوى الإسلامى والعالمى .

وينقلنا هذا إلى حصاد الموضوع كله وهو خطوط التعاون فى الدعوة الإسلامية وأبعادها .

## القسم الثالث

### خطوط التعاون في الدعوة الإسلامية وأبعادها

#### ٩ - الارتباط بالواقع

وإذا ما عدنا إلى منهج القرآن الكريم نستهديه الطريق ، وجدنا أنه عندما خاطب قريشاً مخاطبها في مشكلاتها ، وربط هذه المشكلات بالعقيدة ؛ لقد حدثها عن قصة الفيل وعن رحلة الشتاء والصيف ، وعن الحرم الآمن . . . وبين نصيب العقيدة في هذا كله ، واتخذ سبيلاً إلى الإيمان بالله ، ثم عاد فربط هذا الإيمان بمشكلات المجتمع . . . فربط - على سبيل المثال - بين الصلاة والزكاة ، وبين الإيمان وبذل المعونة للفقير والمحتاج ، ووصف المؤمنين بقوله : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى

حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً \* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً \* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً » [الإنسان : ٨ - ١٢] وقال عن أصحاب النار : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ

المِسْكِينِ • وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ .

[ المدثر: ٤٢ - ٤٥ ] .

وإذا ما رجعنا إلى مادة « يسألونك » و « اسأل » في القرآن ، وجدناها ترد أكثر من عشرين مرة . . وتوضح جانباً من المشكلات التي قابلت المجتمع الإسلامي في مكة والمدينة ، وأكثر ورودها في الآيات المدنية ؛ وبخاصة في سورة البقرة ، وهي أول ما نزل من القرآن في المدينة ففيها وردت سبع مرات : مرة عن الأهل وفيها يقول ربنا : « هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ » [ البقرة : ١٨٩ ] .

والربط بالحج له دلالة على أهمية ميقات مكة . وتتعاقب الأسئلة عن الإنفاق ، والشهر الحرام ، والحمر والميسر ، وعن الإنفاق مرة أخرى ، وعن اليتامى ، والحيض ، وأسئلة بعد ذلك عن قيام الساعة ، وعن الإنفاق في الحرب ، وعن الروح ، وعن مشاهد القيامة ، وعن قصة ذي القرنين . فالأسئلة في الآيات غير مقتصرة على جانب واحد من جوانب الحياة ، وإنما هي تغطي المشكلات التي كان يقابلها المجتمع الإسلامي : دينية واقتصادية واجتماعية وعلمية وتاريخية . وتأسيساً على ذلك ينبغي أن نتصدى للمشكلات التي تقابل مجتمعاتنا . وإذا كان من حق المجتمع الإسلامي أن يسأل ، فمن واجب العلماء أن يجيبوا .

## ١٠ - الدين والمستقبل

ولكن هناك نظرة تحليلية إحصائية أخرى علينا أن ننظر في ضوءها إلى هذه الآيات المتعلقة بالأسئلة ، دون أن يكون في هذا تقييد لحق

المجتمع أو الفرد في السؤال ، وإنما ليكون في ذلك توجيه للفرد والمجتمع ليبدل جهده وطاقته العلمية فيما هو أنفع له :

إن معظم الآيات التي جاءت مرتبطة بـ « يسألونك » و « اسأل » كنموذج على التفاعل بين الدين والحياة ، انصبت على مشكلات قائمة يقابلها المجتمع وهو في سيره إلى مستقبله . القليل منها كان عن الماضي والتاريخ – مع التقدير الكامل للتاريخ وبحوثه – والكثير منها أشد ارتباطاً بالمجتمع الجديد ، الذي حمل المسلمون أمانته إلى المدينة ، وكان عليهم أن يحلوا ما فيه من مشكلات . وفي هذا توجيه لنا بأن يكون حوارنا أكثر ما يكون ارتباطاً ببناء المستقبل منه بالبحث عن مشكلات الماضي .

ولا شك في دعوة القرآن إيانا إلى الاستفادة من الميراث الإنساني كله ؛

والله يعلمنا فيقول : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ

بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ »

[ هود : ١٢٠ ] . ويقول : « لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى

الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »

[ يوسف : ١١١ ] .

فالقصص كان إذا إثراء للحاضر بالماضي ، وعرضاً لتاريخ

الإنسانية ممثلاً في مجتمعات عبر التاريخ ، لها قادتها وقواعدها الشعبية ،

ومشكلاتها الداخلية والخارجية . وقد استفاد الإسلام من كل ذلك ،

ليكون عوناً على بناء الحياة ، ودفعاً لها إلى التقدم والصعود .

وهذا المعبر - فيما أحس - من أخطر المعابر التي يمرّ عليها التعاون الإسلامي : إما أن يضع نفسه على طريق مسدود . من القضايا والمشكلات التاريخية التي لا يمكن في سهولة ويسر أن يصل فيها إلى حلول حاسمة ، أو آراء نرتضيها جميعاً ؛ وإما أن ننظر إلى ما بين أيدينا من مشكلات الحياة وهي كثيرة ، ونتخذ من الدين نوراً نسير على هداه إلى طريق المستقبل .

ولا شك في أن الاتفاق على هذه الخطوط الجديدة من التعاون ، أقرب منا لا وأقوم قبلاً . من الدخول في نقاش وحوار حول قضايا خلافية لم تستطع القرون ، أن تصل فيها إلى حل حاسم ؛ ولا يمنعنا هذا من بحثها على المستويات الأكاديمية والجامعية . ولكن الذي أعنيه أننا في مرحلة تحتاج منا - أكبر ما تحتاج - إلى مقابلة التحديات التي يفرضها علينا عالم نعيش فيه ، ونحن نتفاعل معه ، شئنا أم أبينا - ونهر الحياة يتدفق دون انقطاع : يحمل السفن ويحطم الصخور التي تعترض طريقه .

## ١١ - الدين والشباب

وتقابلنا على هذا الطريق مشكلة ، يحس بها كل إنسان منا في بيته وبين أبنائه ، كما يحس بها العاملون في الدعوة الإسلامية : وأعني بها علاقة الأجيال الجديدة بالدين . وتعدد المداخل التي نستطيع أن نسلكها إلى الشباب ، وبعض هذه المداخل ثبت بالتطبيق العملي أنها متخلفة عن روح العصر ، مما ترك هوة واسعة بين رجال الدين في مجتمعاتنا وبين الشباب ، وهذه الهوة لا بد من معبر نقيمه فوقها . ونعيد النظر في الوسائل التي نحاول بها تقريب الدين إلى الشباب .

ولا أعنى بهذه المناهج مجرد الوعظ الكلامي ، وإن كانت له أهميته ومكانته ، وإنما أعنى بها المدخل العقلي الذي يستطيع به الشباب الاقتراب من الدين ، ولنحدد بعض جوانب المشكلة :

( أ ) هل إعداد رجل الدين الذي يلتقى بالشباب ، يأخذ في اعتباره مشكلات الحياة المتجددة ؟

( ب ) وهل إعداد رجل الدين عندنا ، ما زال إعداداً عاماً ، أم انتقل إلى مرحلة التخصص ، التي يلم فيها الداعية بأصول الدعوة العامة ، ثم يتخصص بعد هذا في مشكلات قطاع معين من قطاعات الحياة كالشباب عامة أو المثقفين ، أو البيئة الصناعية أو الزراعية أو القوات المسلحة ؟

( ج ) وهل تطوير المناهج في معاهد إعداد رجال الدين ، يسير بنفس السرعة التي يسير بها تطور الحياة أم هو متخلف عنها ؟

( د ) هل الاهتمامات التي تعنى بها الدراسات العليا في الدعوة الإسلامية ، وثيقة الصلة بالمجتمع ونابعة منه ، أم هي اهتمامات أكاديمية تستهدف الحصول على مؤهل دراسي أعلى ، دون لقاء مباشر مع حاجات المجتمع ؟

هذه مجرد نماذج من المشكلات التي يعانيها الشباب الإسلامي حين يلتقى مع الواعظ والإمام ، في المسجد أو المدرسة أو حفل عام . . . وتحتاج منا وحدها إلى أكثر من مؤتمر .

ومهما تكن اتجاهات اهتمامنا ، فإنها لا تستطيع أن تكون - إذا ما أرادت النجاح - إلا أن تكون رباطاً قوياً بين الدين والحياة ومشكلاتهما المتجددة في قطاعات المجتمع .

## ١٢ - تصوير المجتمعات القرآنية

وإذا كانت للشباب مشكلة ، فهناك مشكلة أوسع منها وأشمل وتعم المسلمين جميعاً ، وهى المنهاج العلمى الذى ننظر به إلى المجتمعات الإنسانية . وأبادر فأقول إن التمسك الدقيق بالمنهاج القرآنى فى هذه السبيل ، يلتقى التقاء صحيحاً مع المنهاج العلمى . وهناك مدرستان على الأقل يمكن تمييزهما فى هذه القضية :

( أ ) المدرسة المثالية : التى تحاول تصوير المجتمعات الإنسانية - حين تتبع الدين - كأنها مجتمعات خلت من جميع المتناقضات ، واستطاعت الوصول إلى آفاق لا تعرف الشر . وقد ساعد على تأصيل هذه المدرسة الفكرية ، فى الدعوة إلى الإسلام ، اتباع أسلوب كتب المناقب عند دراسة تاريخ الإسلام ، فلا تذكر إلا أروع ما تعرف عن العصر وعن رجاله . وقد انعكس هذا تصويراً يصل أحياناً إلى القداسة ، التى قد ترى الأجيال الشابة ، أن الطريق إليها وعمر المرتقى ، وعورة قد تقعد به عن محاولة السير فى هذا الطريق .

( ب ) المدرسة القرآنية : ولك أن تسميها المدرسة الإنسانية . وهذه تعرض المجتمعات بما فيها من نواحي القوة والضعف ، وتعرض تجاربها فى سبيل التغلب على ما فيها من مشكلات . ولعل من أروع الصور لهذا المنهج ، ما نراه فى سورة آل عمران عند دراسة غزوة أحد ، وفى سورة التوبة عند دراسة مجتمع المدينة وغزوة تبوك فى العام التاسع للهجرة . فهذه الصورة وثيقة اجتماعية تبين توزيع القوى المؤمنة والكافرة والمنافقة فى المدينة وما حولها ، قبيل انتقال الرسول - صلى الله

عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى : وتسجل صوراً رائعة من جهاد المؤمنين ، كما تسجل صوراً من نفاق المنافقين . وعندما أحصى السيد رشيد رضا هذه الصور من النفاق ، وضمها إلى مثيلاتها كما جاءت في سورة البقرة وآل عمران والأحزاب والمنافقين . . . وجدها لا تقل عن ثلاثين أسلوباً من أساليب النفاق اتبعها أعداء الإسلام في قاعدة السلام في المدينة .

كل هذا كان يدور في قاعدة الإسلام في المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا ما كان عرضنا لهذه المجتمعات على أساس قرآني موضوعي ، يعرض نواحي القوة والضعف في المجتمع وفي النفس الإنسانية ، فإننا نستطيع أن نفتح الطريق أمام شبابنا لمتابعة السير دون خشية من التجربة والخطأ ، ويكفيه - في مسيرته - أنه استطاع تسجيل خطوات على الطريق ، وليس عليه أن يصل إلى نهايته ، فهذه مهمة أجيال متتابعة ، وإنما واجبه العمل والكفاح الدائم من أجل الحق ، مادام قادراً على ذلك . وأعتقد - من هذه الزاوية - أن علينا واجباً في إعادة كتابة تاريخنا لشبابنا ، مع الالتزام الدقيق بالمنهج القرآني ، الذي علينا أولاً أن نتفهم أسسه في عرض المجتمعات الإنسانية ، وتحديد طريق العمل أمام المؤمنين .

### ١٣ - الدين والتنمية

والعالم الآن ينقسم إلى دول متقدمة ودول نامية ، أو إلى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، أو إلى الذين يملكون والذين لا يملكون . وكل دولة نامية أو محتاجة إلى معرفة أو مال ، مرتبطة بمستوى حضارى

معين ، وعليها واجب كبير أن تبذل جهودها في عصر أصبح العلم فيه أخطر الأسلحة .

وإذا كان الطابع الغالب على الدول النامية أنها دول منتجة للمواد الأولية أو الخامات ، وأنها دول فقيرة في الكفاءة العلمية والمالية ، فإنها لا تستطيع أن تسير في ركب الحياة ، إلا إذا ما حشدت كل جهودها على طريق التنمية . والتنمية في طبيعتها ستأخذ اتجاهين : أولهما في الموارد الطبيعية ، والثاني في الموارد البشرية ؛ وتنمية الموارد البشرية في عالمنا الإسلامي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين . فكيف نجعل من الدين دافعاً إلى طريق التنمية ، دون أن ننزله في إطار ضيق ، بعيد التفاعل الحصب مع مشكلات الحياة .

وأعود إلى قول الله مخاطباً رسوله : « يسألونك » ، فهل تسأل شعوبنا الدين؟ وهل تجد عنده الإجابة الحية ، أم لا تجد إلا رجوع الصدى فتصرف عن هذا الباب ؟

من هنا تبدو علاقة قوية بين الدين والتنمية والعدالة الاجتماعية ، وفتح المجالات أمام الكفاءات ، فترى مهمة الدين كما حددها الله . « وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » . ومن طبيعة الدين أن يعطى الخط العريض للسير على طريق الحياة ، خط العدل والإخاء والحرية والدفاع عن الحق . والدين بطبيعته مستجيب لهذا كله . وإنما علينا أن نقول كلمة الدين في هذا لتكون نوراً وهدى للناس . كل قيد على تنمية المجتمع من تفرقة عنصرية ، أو حواجز دون الإخاء الكريم بين الناس ، وكل حق معتصب ، كل أولئك ينتظرون من الدين ورجاله كلمة تدعوهم إلى إصلاح وجه الحياة ، وإقامة ميزان الحق والعدل فيها .

## ١٤ - القضايا الإسلامية الكبرى

ويأتى بعد هذا موقفنا من القضايا الإسلامية الكبرى ذات الطابع الذى لا يقتصر على قطر بعينه ، وإنما يشمل تأثيرها أقطار الإسلام جميعاً ، وفي حياتنا المعاصرة نموذجان واضحا على ذلك .

الأول : ما يتعلق بمواقيت الصلاة والصوم والحج تأكيداً لوحدة العالم الإسلامى في عباداته ، وتدعيماً للشخصية الإسلامية على أساس علمى .  
الثانى : ما يتعلق بالأرض العربية السليبية وبيت المقدس ، والمسجد الأقصى الأسير المحترق ، ومكانته الإسلامية عبر التاريخ ، وواجبنا المقدس نحو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وإخواننا الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق .

إنها لهجرة جديدة ترك فيها إخواننا ديارهم ، وفي آذانهم نداء ربانى يرجون تحقيقه كما حققه الله لرسولهم الأعظم عندما هاجر من مكة :  
« إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ » [القصص : ٨٥]

وإنه لقد مرّ به الأنبياء والمرسلون . ومن قبل رسولنا هاجر المسيح - عليهما السلام - من فلسطين إلى مصر لاجئاً ، حتى أذن الله له بالعودة إلى وطنه .

تاريخنا طويل فى الهجرة واللجوء والإخراج من الديار والعودة إليها . . .  
وعلىنا واجب مقدس ، أن ترتبط دعوتنا إلى الله بقضايانا الكبرى ، فليس هناك أحد من المسلمين أحق ببيت المقدس من أحد ، ولا أولى به من أحد ، وإنما هويتهم جميعاً ، عاش فيه العرب والمسلمون ، وجعلوه أرض السلام لكل صاحب دين يأتبه متعبداً .

وكما ارتبطت الدعوة إلى الله ، على عهد الرسول ، بالجهاد الكبير للعودة إلى مكة وتأمين قاعدة الإسلام ، ترتبط الدعوة إلى الله الآن بالعودة إلى بيت المقدس وتأمين أرض السلام ، والإسلام .

وإذا كنا نقرأ فيما علّمنا ربنا : « لقد صدق الله ورسوله

الرؤيا بالحقّ لتَدْخُلَنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين

مُحَلِّقِينَ رِعْوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ » [ الفتح : ٢٧ ]

فإن للمسلمين بعامة ، وللعرب بخاصة ، الآن رؤيا يرجون أن

تتحقق بدخول بيت المقدس آمنين ، ليعيدوا إليه السلام .

## ١٥ - القضايا الإنسانية

والإسلام عناية بالقضايا ذات الطابع الإنساني العام ، وله فيها مواقف

واضحة ومن أبرزها :

( ١ ) قضية التفرقة العنصرية : فالإسلام يؤمن بأن الناس جميعاً إخوة

وأنهم أبناء أب واحد ، وأن روابطهم ينبغي أن تقوم على الحب

والرحمة ، وأن التفاضل بينهم لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح ،

والإسلام ينظر إلى الألوان بمساواة مطلقة : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ » [ الحجرات : ١٣ ] .

( ب ) التخلف الاجتماعى الاقتصادى : والإسلام لا يرى للإنسان - أى إنسان - أن يعيش فى قيود التخلف ، ومن أجل هذا يدعو إلى العلم والإنتاج والتقدم والحرية مع عدل يحيا فى ظله المواطنون . فالسير على طريق التقدم والتخلص من مظاهر التخلف ، أصول تقوم بها الحياة الإنسانية وهى من صميم الإسلام . ودعوتنا إلى الله ينبغى أن توضح هذه الآفاق الإنسانية السامية للإسلام بعرضها على أنفسنا وعلى الناس جميعاً .

### خاتمة

هذه روح القرآن فى اهتماماته بالحياة ، تأكيداً للإيمان فى نفوس الأجيال الصاعدة ، وعناية بمشكلات الحياة على المستويات المحلية والإسلامية الشاملة ، والعالمية ذات الطابع الإنسانى ، وذلك فى مجالات التنمية فى مدلولها الواسع الذى يقابل قضايا الحياة فيثريها بحوار خصب ، يستمد من جوهر الدين لتستطيع المجتمعات الإسلامية والإنسانية أن تتابع سيرها على طريق التقدم .

ولا شك فى أن توفير الجهود يقتضى منا تنسيقاً بين الجامعات الإسلامية ومجامع البحوث ومراكزها ، والمؤتمرات الدورية التى نعقدتها من أجل ذلك ، على هدى من قول الله تعالى :

« فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »

[ الزمر : ١٧ - ١٨ ] .